

التطبيع: نيوم ومدن السراب



الياس خوري الياس خوري

علينا خوض معركة التطبيع والانتصار فيها لأن هزيمتنا أمام هذا الغول ستعني نهاية المعنى واندثار العرب!

التطبيع الخليجي الإسرائيلي تطبيع التفاقي مع كل العالم العربي على مستويين اقتصادي وثقافي. باغتيال فخري زاده تؤكد دولة الاحتلال أنها ستتابع احتكار القوة والسلاح النووي والاغتيالات. اليوم تتأكد الحاجة إلى المقاطعة عربياً وتصير الساحات العربية أرضاً لمعركة سياسية واقتصادية وثقافية وأخلاقية كبيرة.

مقاومة التطبيع الزاحف يجب أن لا تقتصر على الخليجيين المحاصرين بالقمع والترهيب، بل يجب أن تكون معركة عربية شاملة.

هذا التطبيع لن يردع إسرائيل بل يفاقم شراستها العدوانية وكان اغتيال العالم النووي الإيراني برصاص «الموساد»، آخر تجلٍ لهذه العدوانية الدموية.

أمير المنشار قرر اقطاع منطقة نائية ليقيم عليها مدينة الحلم "التطبيعي" ويؤسس دبي جديدة من الرمل الزجاجي والتكنولوجيا المتقدمة و"الخواء".

* * *

لماذا اختار محمد بن سلمان استقبال نتنياهو وبومبيو في مدينة نيوم، في السعودية؟ وليس في جدة أو

الرياض أو الظهران؟

كان يفترض باللقاء أن يكون سراً معلناً، وهذا المستتر المكشوف كان يمكن تأمينه من دون اللجوء إلى مدينة قيد الإنشاء.

لكن هناك منطقاً جديداً في مشروع التطبيع التبعي الزاحف، وهو منطق أشار إليه عبد الرحمن منيف في خمسية «مدن الملح»، ونفذته إسرائيل بوحشية التطهير العرقي لحظة إنشائها ولا تزال تمعن في ممارسته في فلسطين، ووجد تطبيقه العملي في مشيخات الخليج على رمال صحراء العرب، يقوم هذا المنطق على معادلة بسيطة، وهي أن التطبيع التبعي لا يستقيم إلا في الأماكن الفارغة أو شبه الفارغة من سكانها العرب.

النموذج التطبيعي المثير الذي تقدمه الإمارات، يجب أن يُدرس بعناية. فهذا الانبطاح وهذه الدبدبة التي تشهدها دبي وأبوظبي لم تكن ممكنته لولا الوضع الديموغرافي في دولة الإمارات! والذي يشير إلى أن أكثر من سبعين بالمئة من سكانها ليسوا مواطنين، والوافدون، كما نعلم، لا يتمتعون بأية حقوق، ويمكن طردتهم من البلاد في أي لحظة ومن دون سبب مُعلن.

أي أن الاندفاعة التطبيعية التي لم تكن ممكنته في مصر، وهي أول دولة عربية أبرمت معايدة سلام مع إسرائيل، لكنها وجدت مكانها الطبيعي في دولة لا يشكل فيها مواطنوها سوى ربع السكان المقيمين. هذا الحل السحري لا يملكه محمد بن سلمان إلا في مكان واحد، هو مشروع نيوم على البحر الأحمر. أمير المنشار قرر أن يقطع منطقة نائية في السعودية ليقيم عليها مدينة الحلم التطبيعي، ويؤسس دبي جديدة، مصنوعة من الرمل الزجاجي والتكنولوجيا المتقدمة والخواص.

واللافت أن اسم هذه المدينة مركّب من كلمتي «نيو» الإنجليزية و«الميم» العربية، التي هي الحرف الأول من كلمة مستقبل.

مسكينة شركة «سوليدير»، التي أرادت أن تجعل من بيروت «مدينة عريقة للمستقبل»، حسب شعارها. نيوم هي مدينة المستقبل، أما العراقفة فلا مكان لها في قاموس محمد بن سلمان.

طموح شركة إعادة إعمار بيروت بعد الحرب كان تقليد دبي، أي تقليد من قلّاً بيروت، وبلغت السذاجة بمهندسي المشروع أنهم بنوه على افتراضين: السلام العربي الإسرائيلي من جهة، والافتئاع بأن ممالك النفط والرمل لن تطّلع مع العدو الإسرائيلي لأسباب مبدئية ودينية، وستلجم إلى بيروت لتأمين علاقتها بإسرائيل في زمان السلام، من جهة ثانية.

السلام لم يحصل إلا على شكل استسلام كامل، كما أن ممالك السراب ومشيخاته صارت رأس حربة التطبيع، وجسر التبعية والدبدبة بحثاً عن الحماية والرضى الإسرائيلي، ولم تعد في حاجة لبيروت.

وكي يكون التطبيع ممكناً وشاملاً، كان لا بد من تحطيم حواضر العرب وتهميشهما، بيروت اغتالها المصوّر وحطمتها قبائل لبنان الهمجية، بغداد سحقها الغزو الأمريكي ولصوم الطوائف والتبعية، الشام أُحرقت كي يبقى الحكم الأبدي، والقاهرة تحت قبضة العسكر والتهميش الكامل.

يحتاج التطبيع التباعي إلى مدن شبه خالية من السكان، وإذا لم توجد هذه المدن اختروعها، وهنا يمكن تذاكي أمير المنشار السعودي على واقع بلاده التي يسعى إلى السيطرة عليها بالوراثة والغلبة. ولدت نيوم، التي خطط لها أن تكون جنة خالية تقريباً من السعوديين، من رحم التطبيع. اشترى السعوديون تيران وصنا فير من مصر في صفقة لا سابق لها إلا في ألاسكا، التي اشتراها الولايات المتحدة من روسيا القيصرية سنة 1867، وضمنوا أن يكون المكان في حماية إسرائيل. وفي نيوم يعتقدولي العهد السعودي أنه يبني جسراً آمناً للتطبيع.

إذا كان هذا التطبيع لا يمكن أن يتم إلا في مدن السراب شبه الخالية، فلماذا نشعر بخطره، ويستفزنا لمواجهته؟

الخطر يمكن في مكانين حيوين: الاقتصاد ورأس المال المالي، الذي يسيطر عليه مشايخ الغاز والغاز. وهناك أعداد هائلة من المواطنين العرب الذين يعملون في هذه الدول، والذين سيجدون أنفسهم مُكرهين على التعامل مع الغزو الاقتصادي والتكنولوجي الإسرائيلي.

والثقافة، وهنا يتشكل الخطر الكبير. فقد نجحت الدول الخليجية في الاستيلاء التدريجي والمنظم على الثقافة العربية في مختلف فروعها: معارض الكتب، الجوائز الأدبية السخية، النشر، مهرجانات السينما وجواائزها، بيانات الفن التشكيلي مروراً بمتحف الفن من غوغنهايم الأمريكي إلى اللوفر الفرنسي إلى الفنون الإسلامية والفنون الحديثة، وصولاً إلى الرياضة.

ما أوحى بففاعة نهضة ثقافية عمادها الوحيد هو التمويل. وليس عبثاً أن تكون السينما إحدى العلامات الأولى للتطبيع مع دولة الاحتلال.

وربما كان خبر نهاية الأسبوع الماضي هو سعي حمد بن خليفة آل نهيان، ابن عم رئيس دولة الإمارات، لشراء خمسين بالمئة من نادي «بيتار القدس» لكرة القدم، وهو نادٍ ليكودي، عُرف بموافقه العنصرية ضد العرب.

التطبيع الخليجي الإسرائيلي هو بمثابة تطبيع التفاقي مع كل العالم العربي، على المستويين الاقتصادي والثقافي.

المطلوب هو أن يتطلع الرمل فلسطين ويمحو أثراها، ويسيطر التطبيع الالتفافي عبر رشوة العرب الآخرين بفيضان مال نفط العرب، الذي سيقوم بإغراق المنطقة في عتمة الانحطاط الشامل.

واللافت أن هذا التطبيع لن يردع إسرائيل، بل سيزيد من شراستها العدوانية، وكان اغتيال العالم النووي الإيراني محسن فخرى رادة، في طهران برصاص «الموساد»، آخر تحل لهذه العدوانية الدموية. وبذا تؤكد دولة الاحتلال أنها ستتابع احتكار القوة والسلاح النووي والاغتيالات.

مقاومة هذا التطبيع الزاحف يجب أن لا تقتصر على الخليجيات والخليجيين المحاصرین بالقمع والترهيب،

بل يجب أن تكون معركة عربية شاملة،اليوم تتأكد الحاجة إلى المقاطعة عربياً، وتصير الساحات العربية أرضاً لمعركة سياسية واقتصادية وثقافية وأخلاقية كبرى.
 علينا خوض هذه المعركة والانتصار فيها ، لأن هزيمتنا أمام هذا الغول التطبيعي سوف تعني نهاية المعنى واندثار العرب.

* الياس خوري كاتب صحفي وروائي لبناني

المصدر | القدس العربي